دار العلوم

معقل اللغة العربية فى القاهرة

للأستاذ كامل السوافيرى
دبلوم دار العلوم وخريج معهد التربية العالى

تحت هذا العنوان نشرت صحيفة بيروت المسائية من صحف لبنان فى عددها الصادر بتاريخ ٢٩ / ٩ / ١٩٤٧ مقالا للأديب اللبنانى الأستاذ محمد قره على، عن دار العلوم فى القاهرة تحدث فيه لطائفة من خريجيها إبان وجودهم فى لبنان لحضور المؤتمر الثقافى العربى الأول المنعقد فى «بيت مرى» فى الأسبوع الأول من سبتمبر سنة ١٩٤٧ ويظهر من المقال أن كاتبه قد سرت فى نفسه هزة الاعجاب بدار العلوم عندما رأى وفرة خريجيها الوافدين على لبنان، وتعدد المعاهد والجماعات والهيئات التى يمثلونها حيث كان من بينهم مندوبون عن جامعتى فؤاد وفاروق، ووزارة المعارف، وجماعة دار العلوم ومجمع فؤاد الأول، كما كان من بينهم أيضا ممثلو بعض الأقطار العربية كفلسطين، فتوجه بأسئلة أجابه عنها بعض الخريجين، وقد تناولت تاريخ إنشاء الدار ورسالتها والخدمات التى أسدتها للغة العربية والنهضة الأدبية منذ أواخر القرن التاسع عشر إلى اليوم.

ولم أكد أطلع على المقال حتى شعرت بموجة من الاعجاب تغمرنى، وتشمل فى نفس جذوة الاعتزاز بالدار التى تخرجت فيها، وقضيت بين رياضها الفيح، وفصولها العامرة، ومكتباتها المنظمة، فترة من حياتى حافلة بكل معانى اللذة والسرور. لذة الظامىء للعلم المتعطش للأدب الذى وجد المنهل العذب، والمورد السائغ يرتشف من رحيقه، وينهل من سلسبيله.

وعادت بى الذكريات إلى أيام الدراسة وأنا أتلقى العلوم مع نخبة من أبناء الأقطار العربية الاسلامية كانوا يمثلون الجامعة العربية ، والوحدة الاسلامية أصدق تمثيل .

وكانت إدارة الدار ، والقائمون على شئونها يرعون أبناء العروبة، ويعرفون لهم حقهم ، ويقيمون لهم الحفلات يظهرون فيها شعورهم الطيب، وعواطفهم السامية نحو أولئك الضيوف ،الذين وجدوا فى مصر وفى أبنائها إخوانا أعزاء، وأشقاء كرماء .

ولم نكن نتلقى فى دار العلوم علوم اللغة العربيـــة من نحو وصرف واشتقاق وأدب ونقد وبلاغة ، أو علوم الشريعة من فقه وتفسير وحديث وأصول ، أو العلوم الإلهية من منطق وفلسفة، بل كنا نتلقى فى الدار أيضا اللغات الأجنبية واللغات السامية .

ولا أعدو الحقيقة إذا اعترفت بأن دار العلوم تعد أبناءها لخوض غمار الحياة بعد أن تزودهم بجميع الأسلحة التى تمكنهم من اجتياز العقبات والتغلب على الصعاب بما تبثه فى نفوسهم من تكوين الذاتية والاعتماد على النفس والرغبة فى الابتكار والتجديد ، وتحرير العقلية من الجمود .

ويجدر بى أن أنوه بما يبديه أساتذة دار العلوم نحو الطلبة ، من عطف أبوى وسمو خلقى، إلى جانب ما يمتازون به من غزير المادة والرغبة فى البحث والتفانى فى خدمة العلم والاخلاص للدار ، والنهوض بها وإعلاء شأنها حتى تصل إلى الذروة وأرى بيانى عاجزا عن الاشادة بفضل جهابذة وقفوا حياتهم على خدمة اللغة العربية والدين ، وتخرج على أيديهم كبار الشعراء والكتاب الذين يطربون أبناء الضاد بما ينشدونه من أشعار ، وما تنتجه قرائحهم من أدب رفيع ، وحكم عالية .

ودار العلوم ـ ولا نخر ـ تؤدى رسالتها اليوم كما أدتها بالأمس على أكمل وجه ، وتقدم للامم العربية والشعوب الاسلامية كل عام فوجا من أبنائها يلقنون الناشئة علوم اللغة القومية، ومبادىء الدين الحنيف، ويبثون فى

نفوس الاطفال روح القومية العربية .

ولم تقف رسالة دار العلوم ـ كما يظن البعض ـ عند تخريج معلم اللغة القومية الصالح الكفء، بل تجاوزت ذلك إلى إذكاء روح النهضة الأدبية فى العالم العربى وتوجيه التيار الأدبى الوجهة القويمة التى تعيد للأمة مجدها، وتعدها للسير مع قافلة الحضارة الانسانية فى العالم .

وخريجو دار العلوم ـ وبعد خمسة وستين عاما من إنشائها ـ منبثون فى دنيا العرب والاسلام ،فى مصر وسوريا والعراق ولبنان وفلسطين والهند وأندونيسيا وفارس وجزيرة العرب ،يغرسون فى رجال الغد بذور القومية العربية ، ويقفونهم على مدى حضارة العرب ومجدهم بما يشرحونه لهم فى الأدب العربى والتاريخ الاسلامى .

وهم الذادة المدافعون عن لغة يعرب وعدنان، يسجلون من آيات بلاغتها وفصاحتها روائع يهزون بها أوتار القلوب ، ويستحوذون على النفوس . بل إنهم يبذلون اليوم الجهود المشكورة لتقريب اللغة الفصحى من الأذهان بما يتفق مع روح العصر وأسس التربية الحديثة .

وتتعاقب الأيام ، وتمر الأعوام وتبرهن دارالعلوم على عظمتها الخالدة التى تزدهر على كر السنين، وعلى أنها مفخرة من مفاخر الشرق العربى ، ومنارة أضاءت الطريق أمام الذين يرغبون فى الوقوف على أسرار لغة القرآن ، وحديث الرسول الكريم، صلوات الله وسلامه عليه .

ولعل هذه الشهرة الذائعة التى سارت فى الآفاق ، وجعلت أبناء دار العلوم مرموقين بنظرات التقدير والاعجاب، لما هم عليه من كفاءة ومتانة تحفز القائمة على شئون التربية والتعليم فى الأقطار العربية والاسلامية إلى تقدير أبناء الدار ، ووضعهم فى المناصب اللائقة والدرجات المناسبة وخصوصا بعد توصية المؤتمر الثقافى بانشاء معهد فى كل بلد عربى لتخريج المعلم القومى على غرار دار العلوم فى القاهرة، اعترافا بالأيادى البيض التى أدتها للغة وللنهضة الادبية في دنيا العروبة والاسلام . وإلى القراء المقال المنوه عنه آنفا .